

هل وجد ضالته الأسلوبية في أعمال شانت أفديسيان؟

## الرسام المصري عادل السيوي منهم

انتابني دهشة عارمة عندما شاهدت أعمال الفنان المصري شانت أفديسيان، وهو فنان مصري أرمني من مواليد القاهرة العام 1951، يقيم بين مصر وأرمينيا وأمريكا، في مصادفة وضعتني أمام كتاب صدر عن دار الساقى العام 2004، ضم مجموعة كبيرة من أعماله التي أنجزها بين العامين 1990-2004، قامت الكاتبة والناقدة روزا عيسى بتقديمه إلى القارئ باللغة الانكليزية، اقتنيتها أثناء زيارتي لمعرض بيروت الدولي للكتاب في نهاية العام 2007.

تعود معرفتي بالفنان المصري عادل السيوي، المولود في محافظة البحيرة العام 1952، إلى العام 1996، حينها كنت مقيما في بيروت بهدف الدراسة، وهو العام الذي اقتنيت فيه كتاب (مذكرات ليوناردو دافنشي) الذي قام عادل السيوي بترجمته إلى العربية، وشكلت بالإضافة إلى نسختها الانكليزية جزءا منها الصادرين عن دار دوفر الأمريكية، أحد المراجع الأساسية لرسالتي في الدبلوم، التي كانت بعنوان (تمثيل الحركة في الموديل الحي)، وهي رسالة أعدتها لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا في الرسم والتصوير، من معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية ببيروت العام 1998، تركزت حول دراسة التحول في مفهوم تمثيل الحركة في الجسد الإنساني وأهم نظرياته رسما ونحتا، ابتداء من عصر النهضة، الذي مثل دافنشي ذروته الفنية والإبداعية، وانتهاء باختراع الكاميرا وظهور الرسوم المتحركة.

كتب /إياد كنعان

في زيارتي الأخيرة إلى القاهرة العام 2006، بهدف المشاركة في بينالي القاهرة الدولي العاشر بدعوة خاصة من كوميسيره العام الفنان والناقد المصري أحمد فؤاد سليم، مدير متحف الفن الحديث في القاهرة، اقتنيت كتابا لأعمال الفنان عادل السيوي صدر عن غاليري (المشرية) الذي تديره زوجته، تضمن بعض الأعمال التي أنجزها الفنان بين العامين 1989-1990، بالإضافة إلى كتالوج معرضه الأخير (نجوم عمري)، الذي افتتح في شهر ابريل من العام 2006، وشكل حدثا فنيا مصريا وعربيا كبيرا، نظرا لخصوصية طرحه، بالإضافة إلى التغطية الواسعة التي حظي بها المعرض في مختلف الصحف المصرية والعربية، لقد بدت تلك الأعمال مغايرة بطرحها وتوقيتها، فقد أعاد السيوي إلى أذهاننا نجوم الفن والسينما والمسرح في الحقبة الناصرية وما بعدها، عبر مجموعة من الأعمال بدت وكأنها إعادة اعتبار لهؤلاء، في تحد واضح لموجة الانحطاط التي تسود الأوساط الفنية العربية.

إن رؤيتي لأعمال عادل السيوي تلك، لم تتوقف عند حدود الدهشة والإعجاب، أنا الغارق ومنذ وقت ليس يسيرا بملحقة التشكيل العربي بشكل خاص، والعالمى بشكل عام، للوقوف على رموزه وأساليبه ما وسعني إلى ذلك سبيلا، فتبعه كما هي عاداتي (السيرة) بحث وتقصى انتهى بالوقوف على أعمال الفنان المصري الأرمني شانت أفديسيان التي أدهشتني بدرجة تطابقها مع أعمال الفنان عادل السيوي، إلا أنها، وأقصد أعمال أفديسيان، سبقت أعمال عادل السيوي بسنين، وهو تطابق تمثل في الرؤية والطرح والموضوع والمعالجة الأسلوبية العامة للوحة، أما على صعيد النظرية فلم تتخط رؤية عادل السيوي التي عبر عنها في الكتالوج المصاحب لمعرضه (نجوم عمري)، رؤية أفديسيان التي تناولتها وقدمت لها الناقدة والباحثة روزا عيسى في الكتالوج المصاحب لمعرض أفديسيان (علاقات غرامية)، الذي تنقل بين تشوتغارت وبيروت، وما جاء في ذلك التقديم:

تعكس أعمال شانت أفديسيان المهلثة بالصور المعروفة نوعا آخر من الحب، هذا الحب هو حبه لعصر مضي - مصر في الخمسينيات - عندما كان نجومها ملوكا للعالم العربي بأكمله، نجد في أعمال أفديسيان ملوكيات مثل (كوكب الشرق) المطربة الأسطورية أم كلثوم، التي كتب لها أغانيها الغرامية بعض من أفضل شعراء هذا الوقت، والتي لا تزال تصدر سباقات الأغاني بعد أكثر من خمسة وعشرين عاما على وفاتها، هناك أيضا الأميرة الدرزية أسماهان التي لم تدم زيجاتها طويلا والتي توفيت في ظروف مأساوية، نجد أن المنافس الوحيد لأم كلثوم من حيث الشعبية هو الرئيس جمال عبد الناصر، أبو القومية العربية، والملك فاروق آخر ملوك مصر الذي تنازل

عن عرشه عام 1952، وهو في الثانية والثلاثين من عمره، أيضا أخته الجميلة فوزية التي كانت ابنة و أخت وزوجة لملوك، نرى أيضا نجمة الغناء داليدا قبل أن تصبح شقراء في باريس، هناك أيضا ممثلون وممثلات مثل زكي رستم (الفتى الشري) وفاتن حمامة (الفتاة الشريفة)، و رمز الإغراء هند رستم، والراقصة المثيرة تحية كاريوكا وآخرون من نجوم الترفيه في العصر الذهبي للسينما المصرية.

لقد أعاد عادل السيوي رسم المواضيع نفسها وتناول معظم الشخصيات التي تناولها أفديسيان من قبل، بالطريقة نفسها تقريبا، مع فوارق طفيفة في المعالجة اللونية والتكوين العام للوحة (Compos-tion)، ومما جاء في تقديم عادل السيوي لمعرضه (نجوم عمري) تحت عنوان (عصري الذهبي) المؤرخة بمارس 2006، نذكر:

عصري الذهبي كان بلا جدال فترة المراهقة، الستينات، أيام الليل، دائرة مكتملة، تزامن فيها نمو مراهق ونمو وطن معا، تحولات سريعة في كل شيء يخصني: الموت والجسد والمشاعر وتحولات سريعة في مصر أيضا...

أما تحت باب (بدر) فكتب قائلا، في إشارة إلى المرجعية التي أفضت إلى معرضه سالف الذكر: منذ بضع سنوات، كنت اصحب ابنتي يارا إلى المنزل بعد عودتها من المدرسة، وأمر بالضرورة بجوار سور مدرسة الفرير بباب اللوق، حيث التقيت ببدر، رسام حقيقي، أو رسيم كما يسمى نفسه، وشاهدت معه مجموعة من الوجوه كان يعرضها للبيع على الرصيف، أم كلثوم، جمال عبد الناصر، فريد الأطرش، السادات، الملك فيصل، الشيخ زايد، استوقفتني كثيرا وجه إسماعيل ياسين، تحاورنا حول هذه الشخصيات وكيف يراها وكيف يرسمها، وكلمني عن علاقته بالفوتوغرافيا التي ينقل عنها، ولم يخرصورة و يرفض أخرى، فالنجم هنا منفعل أكثر مما يجب، وهناك يستعير نظرة ليست له، كان بدر يقدم لي دون وعي منه أو مني بداية الطريق في هذه التجربة، فتح لي بدر الطريق لتأمل تلك المسافة بين الذاكرة والفوتوغرافيا، بين صورة الكاميرا، وصورة تصنعها اليد، تلك المساحة الممكنة من التدخل التي لا يجب أن تتنازل عنها بأية حال.

إن محاولة عادل السيوي إحالة معرضه (نجوم عمري) إلى تلك التجربة التي أراها لا يمكنها أن تفضي إلى رؤية فنية ناضجة مكتملة كذلك التي قدمها في معرضه، ما هي إلا محاولة لإخفاء المصدر الحقيقي لتلك التجربة في تقديري الشخصي، وهي

أعمال الفنان شانت أفديسيان، ولو افترضنا أن الأمر ليس كذلك، فإن من حقنا طرح عدد من التساؤلات الجدية والأساسية:

\* هل يمكن أن تغيب أعمال فنان مثل أفديسيان عن عيني عادل السيوي المعروف بكثرة سفره وسعة اطلاعه؟

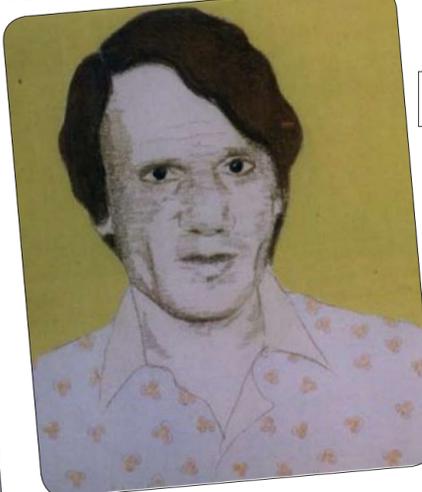
هل يسعف عادل السيوي تجاهله لفنان بقامة أفديسيان، وتجربته التي تعود إلى سبعينيات وثمانينات القرن الماضي؟

هل تجاهلنا تجربة ما، سبق أن وقدمت وثقت وكتب عنها، تعفينا من المسؤولية الأخلاقية والإبداعية تجاه طرحنا لها وتكرارها وكأنها غير موجودة أصلا؟

\* لماذا غفل النقد التشكيلي في الساحة الثقافية المصرية المعروفة بجراتها، عن رصد هذا (التوافق الأسلوبى) الكبير في أعمال الفنانين دون أدنى إشارة له؟ وكيف غاب فنان مثل أفديسيان عن الحياة الثقافية المصرية دون أدنى ذكر أو حضور فني أو إبداعي؟ أخيرا: هل نحن أمام قضية (انتحال أسلوبى) كبير، أو أن كل ما في الأمر أن عادل السيوي أعاد إنتاج أعمال أفديسيان، أو لنقل رؤية أفديسيان، بريشته الفنية ورؤيته الخاصة؟

لا أنكر أن ثمة فوارق بين معالجة عادل السيوي لحواته التي تميزت برؤية حديثة فاقت معالجة أفديسيان، إلا أنها فوارق هامشية لا تنفي في تقديري الشخصي شبهة (الانتحال) عن عادل السيوي، خاصة إذا ما اقترنت بتعليم على أعمال أفديسيان وأسبقيتها في طرح الموضوع ومعالجته فنيا وتشكليا، هذا إذا ما افترضنا سوء النية لدى عادل السيوي، لكن إذا ما افترضنا حسنها، فإن الحكمة تستدعي اعتراف عادل السيوي بأسبقية شانت أفديسيان في طرح تلك التجربة وإخراجها إلى النور، وهي تجربة يجب الاعتراف بريادتها كونها غير مسبوقه بشموليتها ورؤيتها الجمالية في التشكيل المصري أو العربي المعاصر.

وبالرجوع إلى الأرشيف الصحفى للمعرضين، (نجوم عمري) لعادل السيوي (علاقات غرامية) لشانت أفديسيان، ومن حسن حظنا أن الانترنت يساعد كثيرا في الوصول إلى هذا الأرشيف، نجد أن ما كتب عن



معرض

الفنان عادل السيوي، لا يختلف كثيرا عما كتب عن معرض الفنان شانت أفديسيان، الذي تناولته العديد من الأعلام النقدية منها الناقد والأكاديمية اللبنانية د. مها سلطان، حتى أنه يخال للقارئ أن الحديث هنا يجري عن معرض واحد لكن لفنانين مختلفين. إن المتتبع لأسلوب عادل السيوي خلال السنوات العشر الأخيرة، يلحظ

تحولا أسلوبيا كبيرا بين أعماله ذات الطابع التعبيري التي سبقت معرضه الأخير (نجوم عمري)، وبين الأعمال التي ضمها معرضه سابق الذكر، سواء على صعيد الشكل أو الموضوع، وهو تحول ما كان لي أن أدرك (مرجعياته) المفترضة، دون تلك الصدفة التي أطلعتني على أعمال الفنان المصري شانت أفديسيان، ورغم أنجازي لتجربة عادل السيوي الماقبل (نجوم عمري)، إلا أنني أتساءل كيف انزلق عادل السيوي إلى هذا الشرك الكبير، رغم ما حققه هذا الفنان من حضور إبداعي جيد، وسعنة عربية وضعت خلال العقدين الأخيرين بين الفنانين الأكثر شهرة في مصر والعالم العربي.

تذكر السيرة الذاتية للفنان شانت أفديسيان، أنه ولد في القاهرة العام 1951، درس في مدرسة الفنون والتصميم في مونتريال بكندا، وأكمل دراسته في الفنون التطبيقية في المدرسة القومية العليا للفنون الخزرفية في باريس في سبعينيات القرن الماضي، له عدد كبير من المعارض حول العالم، وتعرض أعماله

في عدد كبير من المتاحف العربية العالمية، أما الفنان عادل السيوي فهو من مواليد البحيرة العام 1952، تخرج من كلية الطب بجامعة القاهرة العام 1976، درس الفن بالقسم الحر في كلية الفنون بالقاهرة بين العامين 1974-1975 أما في العام 1979 فقد قرر أن يهجر الطب النفسي ليتفرغ للعمل الفني، وليصبح بعدها واحدا من أهم الفنانين المصريين على الساحة التشكيلية المصرية والعربية، والتي تعرض أعماله في أهم صالات العرض العربية، وتوجت مؤخرا بعرضها في صالة كريستي للمزادات العالمية جنبا إلى جنب مع أعمال أفديسيان ومجموعة من كبار الفنانين المصريين، وهو مترجم قام بترجمة عدد من الكتب الفنية منها: مذكرات ليوناردو دافنشي، ونظرية التشكيل للفنان بول كلي، بالإضافة إلى الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر الإيطالي أونغاريتي.

## من أعمال الفنان التشكيلي أحمد حسين الشهابي

